باريس

يوم الخميس في ٤رجب سنة١٣٠١ و ١ مايو سنة ١٨٨٤

التوى سير السياسة الانكليزية في المسئلة المصرية وقزلت الوزارة الغلادستونية في المضي الى نهايتها فسقطت مراراً ونهضت مراراً وآل بها الامر بعد هذا الى عجز عن اداء ماتعهدت به للدول وللدولة العثمانية من اصلاح الاحوال المصرية وفزع شديد من عقبى هذا الفتن التي تداعت لها اركان النظام المصري فلجأت الى الدول الاوربية تستعين بها علَى تخفيف الوزر والتمست منها عقد مؤتمر في لوندرا وتعللت في دعوتها الى الاشتراك معها في الامر بفراغ الخزينة المصرية لكثرة النفقات والنقص في الايراد فلا يمكن بقانون التصفية الذي وضع باتفاق من الدول العظام الا انها شرطت علَى الدول ان تكون المداولة في المؤتمر منحصرة في المسائل المالية ولا يجوز لهم ان يتعدوها الى ذكر شي آخر الاحوال المصرية الحاضرة او الماضية اما الدول فقد قبلت الدخول في المؤتمر على شرط مبهم وهو ان نوابهم يبحثون فيما يبحث فيه المؤتمر إلا دولة المانيا فانها لم تجب الى الان جواباً رسميا ويغلب علَى الظن في الدوائر السياسية انها تتبع في جوابها دولة فرنسا واتفقت علَى ذلك اغلب الجرائد الالمانية وزادت دولة فرنسا في جوابها ان طبيعة المسائل التي

يجري فيها البحث ربما لاتقف بالباحثين عند حد النظر في المالية بل تنجر بهم الى ذكر كثير من المشاكل المصرية الحاضره ٠

اما هذا فلم يكن خافياً على انكلترا فان النظر في المالية مع الاضطراب الواقع في الديار المصرية وتزعزع اركان السلم فيها لاتخلو نتيجته من احد امرين اما تقدير الايراد والمصرف بمبالغ محدده وتخصيص شئ معين من الايراد لوفاء فايدة الدين مع تخفيض الفايدة مثلاً ثم يوضع قانون تمضي عليه الدول كما فعل في قانون التصفية وهذا مما لايتصوره العقل فان عساكر الحلول الانكليزية لم تزل في ارض مصر ومصاريفها على الخزينة المصرية ولم يعلم اجل اقامتها ولا مبلغ عددها والفتن قائمة في الجهات السودانية والحكومة المصرية مكلفة بتوقيفها عند حد لايخل براحة البلاد ولهذا العمل مصاريف ونفقات لايمكن تحديدها ولا تقديرها فكيف يمكن الوصول الى تعيين النفقات واحصائها على وجه منضبط والاضطراب الداخلي والاختلال الفاشي في الادارات ودوائر الحكومة العليا والدنيا الذي حدث بتخلل الانكليز فيها وقف حركة الاعمال النافعة من زراعة وتجارة وصناعة فكيف يمكن ضبط الايراد على نمط يعرف و يوافق فلم يكن غرض انكلترا من الدعوة الى المؤتمر ان تصل الى مثل هذه الغاية التي لااهمية لها مع بعدها

الامر الثاني ان ينساق البحث في المسائل المالية والنظر في الايراد

والمصرف الى مايلزم لاستقرار الراحة في مصر من العساكر وماتطلبه من النفقات وما يستدعيه اطفاء فتنة السودان وما تحتاج اليه المحاكم الجديدة وغير ذلك مما تعرضه انكلترا وتبين للدول ان مالية مصر ليس في طاقتها ان تفي بجميع هذه النفقات الواسعة ولو كلفت باداء بعضها فضلاً عن كلها لحق الضرر بارباب الديون فأحسن وسيلة للتخفيف عن المالية المصرية مع حفظ الحقوق لاربابها ان تكون الديون المصرية تحت ضمانة انكلترا وهي تؤدي فوائدها في ازمانها . تطلب من الدول بعد هذا ان تفوض اليها التصرف في الاقطار المصرية وتأخذ التبعة عَلَى نفسها في بذل الاموال وقتل الارواح وهذا الذي يمكن ان تفعله انكلترا بعد عجزها وربما مست حقوق الدولة العثمانية في مطاليبها هذه الا ان التلغرافات نقلت الينا مايتحدث به في الدوائر السياسية بالاستانة وهو ان الدولة العثمانية ستشترط لقبول انتظامها في المؤتمر شروطاً صعبة يعز عَلَى انكلترا قبولها لينكشف الستار عن مقاصدها في مصر ومن جملة تلك الشروط ان تستبدل العساكر الانكليزية الحالة في مصر بعساكر عثمانية لان نفقات الجيوش العثمانية اقل من نفقات الانكليزية وهذا هو ما يؤمل في الدولة العثمانية في هذه الاوقات وانها فرصة لو فاتت فقل ان يأتي مثلها وللدولة العثمانية بسلطتها عَلَى قلوب المسلمين شرقاً وغرباً قوة ترتعد منها فرائص الانكليز فامل اوليائها اليوم ان تستعمل تلك القوة الفائقة وتجعل لها اثراً في استرداد حقوقها

وعندنا ان رجال الدولة العثمانية لا يغفلون عن هذا . اما الحكومة الفرنساوية فقد عقدت عزيمتها على مطالبة انكلترا باعادة نفوذ الفرنساويين في مصر كما كان قبل المراقبة والجرائد الفرنساوية على اتفاق في تبيين خلل السياسة الانكليزية وبيان سوء مقاصد الانكليز والالحاح على حكومتهم الا تعترف لانكلترا باذني امتياز بسبب ما فعلته في واقعة التل الكبير وهذا ما ترتجف منه الجرائد الانكليزية عموماً وتخشى عاقبته وتظنها اسوأ عاقبة عليهم

هذا ما يتعلق بورطتهم الجديدة التي يظنون فيها خلاصهم وبقي عليهم ما لا انظن ولا يظنون لهم منه نجاة دخل الثائرون مدينة بربر كما انبأت به اواخر الاخبار ولعبت عواصف الفتنة باطراف مصر العليا واكدت اخبار التلغرفات انها لم تقف عند حدها بل حركت السواكن في مصر السفلى ووراء ذلك من الويل ما وراءه فاين الخلاص لدولة انكلترا . نعم لمعت بارقة حق في عقول بعض ذوي الراي من رجالها فطلبوا ان تكون العساكر التي تبعث الى مصر مؤلفة من عثمانية وانكليزية وهو نوع تقرب لما قلناه مراراً من ان هذه الفتن لا يدفع غائلتها إلا المسلمون ولكن عليهم ان يخلصوا ارائهم من الشائبة الانكليزية والا فلا نجاح والله يفعل ما يشاء

العروة الوثقى

تاتي في فصولها عَلَى اهم ما له اثر في احوال الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً فلا تلام اذا اطنبت في مسئلة شرقية عامة ولا اذا اغفلت ذكر بعض اخبار من اميركا وجابونيا

نبهنا في اول عدد صدر منها على ان القائم بها رجال من اهل الغيرة في الشرق هموا باعمال تفيد اوطانهم وملتهم مع رعاية جانب العدل والسير عَلَى وفق الحكمة ومن ظن ان توزيعها مجاناً يقتضي ان تكون منسوبة لدولة من الدول او شخص من ذوي المطامع في امارة او ملك فانما نشاء ظنه هذا من الياس المستحكم في نفسه والقنوط من نهوض همم بعض المسلمين بعمل صغير كهذا ولا يقنط من روح الله إلا القوم الكافرون

هذه جريدة لا سعة فيها للتنابذ والتقاذف ولا يذكر فيها اسم شخص او لقبه إلا اذا كان له قول او عمل يفيد البحث فيه فائدة عامة

القضاء والقدر

مضت سنة الله في خلقه بان للعقائد القلبية سلطاناً عَلَى الاعمال البدنية فما يكون في الاعمال من صلاح او فساد فانما مرجعه فساد العقيدة

وصلاحها على مـا بينا في بعض الاعداد الماضية ورب عقيدة واحدة تاخذ باطراف الافكار فيتبعها عقائد ومدركات اخرى ثم تظهر عَلَى البدن باعمال تلائم اثرها في النفس ورب اصل من اصول الخير وقاعدة من قواعد الكمال اذا عرضت عَلَى الانفس في تعليم او تبليغ شرع يقع فيها الاشتباه على السامع فتلتبس عليه بمـا ليس من قبيلها او تصادف عنده بعض الصفات الرديئة او الاعتقادات الباطلة فيعلق بها عند الاعتقاد شيء مما تصادفه وفي كلا الحالين يتغير وجهها ويختلف اثرها وربما تتبعها عقائد فاسدة مبنية عَلَى الخطا في الفهم او على خبث الاستعداد فتنشاء عنها اعمال غير صالحة وذلك على غير علم من المعتقد كيف اعتقد ولا كيف يدرفه اعتقاده والمغرور بالظواهر يظن ان تلك الاعمال انما نشأت عن الاعتقاد بذلك الاصل وتلك القاعدة ومن مثل هذا الانحراف في الفهم وقع التحريف والتبديل في بعض اصول الاديان غالباً بل هو علة البدع في كل دين عَلَى الاغلب وكثيراً ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع منشاء لفساد الطباع وقبائح الاعمال حتى افضى بمن ابتلاهم الله به الى الهلاك وبئس المصير وهذا مايحمل بعض من لاخبرة لهم عَلَى الطعن في دين من الاديان او عقيدة من العقائد الحقـة استناداً الى اعمال بعض السذج المتسببين الى الدين او العقيدة ٠

من ذلك عقيدة القضاء والقدر التي تعد من اصول العقائد في

الديانة الاسلامية الحقة · كثر فيها لغط المغفلين من الافرنج وظنوا بها الظنون وزعموا انها ماتمكنت من نفوس قوم إلا وسلبتهم الهمة والقوة وحكمت فيهم الضعف والضعة ورموا المسلمين بصفات ونسبوا اليهم اطواراً ثم حصروا علتها في الاعتقاد بالقدر فقالوا ان المسلمين في فقر وفاقة وتأخر في القوى الحربية والسياسية عن سائر الامم وقد فشى فيهم فساد الاخلاق فكثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض وتفرقت كلمتهم وجهلوا احوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم وقنعوا بحياة يأكلون فيها و يشربون و ينامون ثم لاينافسون غيرهم في فضيلة ولكن متى امكن لاحدهم ان يضر اخاه لايقصر في الحاق الضرر به فجعلوا باسهم بينهم والامم من ورائهم تبتلعهم لقمة بعد اخرى رضوا بكل عارض واستعدوا لقبول كل حادث وركنوا الى السكون في كسور بيوتهم يسرحون في مرعاهم ثم يعودون الى ماواهم الامراء فيهم يقطعون ازمنتهم في اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات وعليهم فروض وواجبات تستغرق في ادائها اعمارهم ولا يؤدون منها شيئا · يصرفون اموالهم فيما يقطعون بـه زمانهم اسرافاً وتبذيراً · نفقاتهم واسعة ولكن لايدخل في حسابها شيء يعود على ملتهم بالمنفعة يتخاذلون و يتنافرون و ينيطون المصالح العمومية بمصالحهم الخصوصية فرب تنافر بين اميرين يضيع امة كاملة كل منهما يخذل صاحبه و يستعدي عليه جاره فيجد الاجنبي فيهما قوة فانية وضعفاً

قاتلاً فينال من بلادهما مالا يكافه عددا ولا عدة . شملهم الخوف وعمهم الجبن والخور يفزعون من الهمس ويألمون من اللمس . قعدوا عن الحركة الى مايلحقون به الامم في العزة والشوكة وخالفوا في ذلك اوامر دينهم مع رؤيتهم لجيرانهم بل الذين تحت سلطتهم يتقدمون عليهم ويباهونهم بما يكسبون واذا اصاب قوماً من اخوانهم مصيبة اوعدت عليهم عادية لايسعون في تخفيف مصابهم ولا ينبعثون لمناصرتهم ولا توجد فيهم جمعيات ملية كبيرة لاجهرية ولا سرية يكون من مقاصدها احياء الغيرة وتنبيه الحمية ومساعدة الضعفاء وحفظ الحق من بغي الاقوياء وتسلط الغرباء . هكذا انسبوا الى المسلمين هذه الصفات وتلك الاطوار وزعموا ان لامنشاء لها الا اعتقادهم بالقضاء والقدر وتحويل جميع مهماتهم على القدرة الالهية وحكموا بان المسلمين لو داموا على هذه العقيدة فلن تقوم لهم قائمة ولن ينالوا عزاً ولن يعيدوا مجداً ولا يأخذون بحق ولا يدفعون تعديا ولا ينهضون بتقوية سلطان او تأييد ملك ولا يزال بهم الضعف يفعل في نفوسهم ويركس من طباعهم حتى يؤدي بهم الى الفناء والزوال (والعياذ بالله) يغني بعضهم بعضاً بالمنازعات الخاصة وما يسلم من ايدي بعضهم يحصده الاجانب .

واعتقد اولئك الافرنج انه لافرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر وبين الاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين بان الانسان مجبور محض في جميع افعاله وتوهموا ان المسلمين بعقيدة القضاء يرون انفسهم كالريشة

المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل ومتى رسخ في نفوس قوم انه لا اختيار لهم في قول ولا عمل ولا حركة ولا سكون وانما جميع ذلك بقوة جابرة وقدرة قاسرة فلا ريب تتعطل قواهم ويفقدوا ثمرة ما وهبهم الله من المدارك والقوى وتمحي من خواطرهم داعية السعي والكسب واجدر بهم بعد ذلك ان يتحولوا من عالم الوجود الى عالم العدم . هكذا ذانت طائفة من الافرنج وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول في المشرق واست اخشى ان اقول كذب الظان واخطاء الراهم وابطل الزاعم وافتروا على الله والمسلمين كذبا. لا يوجد مسلم في هذا الوقت من سني وشيعي وزيدي واسماعيلي ووهابي وخارجي يرى مذهب الجبر المحض ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بان لهم جزءاً اختيارياً في اعمالهم ويسمى بالكسب وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختياري ومطالبون بامتثال جميع الاوامر الالهية والنواهي الربانية الداعية الى كل خير الهادية الى كل فلاح وان هذا النوع من الاختيار وهو مورد التكليف الشرعي وبه تتم الحكمة والعدل

نعم كان بين المسلمين طائفة تسمى بالجبرية ذهبت الى ان الانسان مضطر في جميع افعاله اضطراراً لا يشوبه اختيار وزعمت ان لا فرق بين أن يحرك الشخص فكه للاكل والمضغ وبين ان يتحرك بقفقفة البرد عند شدته ومذهب هذه الطائفة يعده المسلمون من

منازع السفسطة الفاسدة وقد انقرض ارباب هذا المذهب في اواخر القرن الرابع من الهجرة ولم يبق لهم اثر. وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد ماظنه اولئك الواهمون

الاعتقاد بالقضاء يويده الدليل القاطع بل ترشد اليه الفطرة وسهل على من له فكر ان يلتفت الى ان كل حادث له سبب يقارنه في الزمان وانه لايرى من سلسلة الاسباب إلا ما هو حاضر لديه ولا يعلم ماضيها إلا مبدع نظامها وان لكل منها مدخلاً ظاهراً فيما بعده بتقدير العزيز العليم . وارادة الانسان انما هي حلقة من حلقات تلك السلسلة وليست الارادة الا اثراً من آثار الادراك والادراك انفعال النفس بما يعرض على الحواس وشعورها بما اودع في الفطرة من الحاجات فلظواهر الكون من السلطة على الفكر والارادة ما لا ينكره ابله فضلاً عن عاقل وان مبدء هذه الاسباب التي ترى في مظاهر موثرة انما هو بيد مدبر الكون الاعظم الذي ابدع الاشياء على وفق حكمته وجعل كل حادث تابعاً لشبهه كانه جزاء له خصوصاً في العالم الانساني

ولو فرضنا ان جاهلاً ضل عن الاعتراف بوجود اله صانع للعالم فليس في امكانه ان يتملص من الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعية والحوادث الدهرية في الارادات البشرية فهل يستطيع انسان ان يخرج بنفسه عن هذه السنة التي سنها الله في خلقه . هذا امر يعترف

به طلاب الحقائق فضلاً عن الواصلين وان بعضاً من حكماء الافرنج وعلماء سياستهم التجاوا الى الخضوع لسلطة القضاء واطالوا البيان في اثباتها ولسنا في حاجة الى الاستشهاد بارائهم

ان للتاريخ علماً فوق الرواية عنى بالبحث فيه العلماء من كل امة وهو العلم الباحث عن سير الامم في صعودها وهبوطها وطبائع الحوادث العظيمة وخواصها وما ينشاء عنها من التغيير والتبديل في العادات والاخلاق والافكار بل في خصائص الاحساس الباطن والوجدان وما يتبع ذلك كله من نشاة الامم وتكون الدول او فناء بعضها واندراس اثره . هذ الفن الذي عدوه من اجل الفنون الادبية واجزلها فائدة بناء البحث فيه عَلَى الاعتقاد بالقضاء والقدر والاذعان بان قوى البشر في قبضة مدبر للكائنات ومصرف للحادثات ولو استقلت قدرة البشر بالتأثير ما انحط رفيع ولا ضعف قوي ولا انهدم مجد ولا تقوض سلطان

الاعتقاد بالقضاء والقدر اذا تجرد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجراءة والاقدام وخلق الشجاعة والبسالة ويبعث على اقتحام المهالك التي توجف لها قلوب الاسود وتنشق منها مرائر النمور . هذا الاعتقاد يطبع الانفس عَلَى الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الاهوال ويحليها بحلى الجود والسخاء ويدعوها الى الخروج من كل ما يعز عليها بل يحملها عَلَي بذل الارواح والتخلي عن نضرة الحياة كل هذا في سبيل الحق الذي

قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة · الذي يعتقد بان الاجل محدود والرزق مكفول والاشياء بيد الله يصرفها كما يشاء كيف يرهب الموت في الدفاع عن حقه واعلاء كلمة امته او ملته والقيام بما فرض الله عليه من ذلك وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله في تعزيز الحق وتشييد المجد علَى حسب الاوامر الالهية واصول الاجتماعات البشرية

امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته في قوله الحق الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم · اندفع المسلمون في اوائل نشأتهم الى الممالك والاقطار يفتحونها ويتسلطون عليها فادهشوا العقول وحيروا الالباب بما دوخوا الدول وقهروا الامم وامتدت سلطتهم من جبال بيريني الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا الى جدار الصين مع قلة عددهم وعددهم وعدم اعتيادهم علَى الاهوية المختلفة وطبائع الاقطار المتنوعة ارغموا الملوك واذلوا القياصرة والاكاسرة في مدة لا تتجاوز ثمانين سنة · ان هذا ليعد من خوارق العادات وعظائم المعجزات

دمروا بلاداً ودككوا اطواداً ورفعوا فوق الارض ارضاً ثامنة من القسطل وطبقة اخرى من النقع وسحقوا روس الجبال تحت حوافر جيادهم واقاموا بدلها جبالاً وتلالاً من روس النابذين لسلطانهم وارجفوا كل قلب وارعدوا كل فريصة وما كان قائدهم وسائقهم الى

جميع هذا الا الاعتقاد بالقضاء والقدر

هذا الاعتقاد هو الذي ثبتت به اقدام بعض الاعداد القليلة منهم امام جيوش يغص بها الفضاء ويضيق بها بسيط الغبراء فكشفوهم عن مواقفهم وردوهم على اعقابهم

بهذا الاعتقاد لمعت سيوفهم بالمشرق وانقضت شهبها عَلَى الحيارى في هبوات الحروب من اهل المغرب وهو الذي حملهم عَلَى بذل اموالهم وجميع ما يملكون من رزق في سبيل اعلاء كلمتهم لا يخشون فقراً ولا يخافون فاقة . هذا الاعتقاد هو الذي سهل عليهم حمل اولادهم ونسائهم ومن يكون في حجورهم الى ساحات القتال في اقصى بلاد العالم كانما يسيرون الى الحدائق والرياض وكانهم اخذوا لانفسهم بالتوكل عَلَى الله امانًا من كل غادرة واحاطوها من الاعتماد عليه بحصن يصونهم من كل طارقة وكان نساؤهم واولادهم يتولون سقاية جيوشهم وخدمتها فيما تحتاج اليه لا يفترق النساء والاولاد عن الرجال والكهول الا بحمل السلاح ولا تاخذ النساء رهبة ولا تغشى الاولاد مهابة . هذا الاعتقاد هو الذي ارتفع بهم الى حد كان ذكر اسمهم يذيب القلوب ويبدد افلاذ الاكباد حتى كانوا ينصرون بالرعب يقذف به في قلوب اعدائهم فينهزمون بجيش الرهبة قبل ان يشيموا بروق سيوفهم ولمعان اسنتهم بل قبل ان تصل الى تخومهم اطراف جحافلهم

(بكاي عَلَى السالفين ونحيبي عَلَى السابقين اين انتم ياعصبة الرحمة

واولياء الشفقة اين انتم ياأعلام المروة وشوامخ القوة اين انتم ياآل النجدة وغوث المضيم يوم الشدة اين انتم ياخير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر اين انتم ايها الامجاد الانجاد القوامون بالقسط الاخذون بالعدل الناطقون بالحكمة المؤسسون لبناء الامة الا تنظرون من خلال قبوركم الى ما اتاه خلفكم من بعدكم وما اصاب ابناكم ومن ينتحل نحلتكم انحرفوا عن سنتكم وجاروا عن طريقكم فضلوا عن سبيلكم وتفرقوا فرقاً واشياعاً حتى اصبحوا من الضعف على حال تذوب لها القلوب اسفاً وتحترق الاكباد حزناً . اضحوا فريسة للامم الاجنبية لا يستطيعون ذوداً عن حوضهم ولا دفاعاً عن حوزتهم الا يصيح من برازخكم صائح منكم ينبه الغافل ويوقظ النائم ويهدي الضال الى سواء السبيل . انا لله وانا اليه راجعون .)

اقول وربما لا اخشى واهماً ينازعني فيما اقول انه من بداية تاريخ الاجتماع البشري الى اليوم ما وجد فاتح عظيم ولا محارب شهير نبت في اوسط الطبقات ثم رقى بهمته الى اعلى الدرجات فذلت له الصعاب وخضعت الرقاب وبلغ من بسطة الملك ما يدعوا الى العجب ويبعث الفكر لطلب السبب إلا كان معتقداً بالقضاء والقدر . سبحان الله الانسان حريص على حياته شحيح بوجوده على مقتضى الفطرة والجبلة فما الذي يهون عليه اقتحام المخاطر وخوض المهالك ومصارعة المنايا إلا الاعتقاد بالقضاء والقدر وركون قلبه الى ان المقدر كائن ولا اثر

ول المظاهر

اثبتت لنا التواريخ ان كورش الفارسي (كيخسرو) وهو اول اتح يعرف في تاريخ الاقدمين مـا تسنى له الظفر في فتوحاته الواسعة الا لانه كان معتقداً بالقضاء والقدر فكان لهذا الاعتقاد لا يهوله هول ولا توهن عزيمته شدة وان اسكندر الاكبر اليوناني كان ممن رسخ في نفوسهم هذه العقيدة الجليلة وجنكيزخان التتري صاحب الفتوحات المشهورة كان من ارباب هذا الاعتقاد بل كان نابليون الاول بونابرت الفرنساوي من اشد الناس تمسكاً بعقيدة القضاء وهي التي كانت تدفعه بعساكره القليلة على الجماهير الكثيرة فيتهيأ له الظفر وينـال بغيته من النصر

فنعم الاعتقاد الذي يطهر النفوس الانسانية من رزيلة الجبن وهو اول عائق للمتدنس به عن بلوغ كماله في طبقته ايا كانت نعم انا لا ننكر ان هذه العقيدة قد خالطها في نفوس بعض العامة من المسلمين شوائب من عقيدة الجبر وربما كان هذا سبباً في رزيئتهم ببعض المصائب التي اخذتهم بهـا الحوادث في الاعصر الاخيرة ورجاونا في الراسخين من علماء العصر ان يسعوا جهدهم في تخليص هذه العقيدة الشريفة من بعض ما طرأ عليها من لواحق البدع ويذكروا العامة بسنن السلف الصالح وما كانوا يعملون وينشروا بينهم ما اثبتته ائمتنا رضي الله عنهم كالشيخ الغزالي وامثاله من ان التوكل والركون الى القضاء انما

طلبه الشرع منا في العمل لا في البطالة والكسل وما امرنا الله ان نهمل فروضنا ونتبذ ما اوجب علينا بحجة التوكل عليه فتلك حجة المار عن الدين الحائدين عن الصراط المستقيم ولا يرتاب احد من اهل الملة الاسلامي في ان الدفاع عن الملة في هذه الاوقات صار من الفروض العينية على كل مومن مكلف وليس بين المسلمين وبين الالتفات الى عقائدهم الحقة التي تجمع كلمتهم وترد اليهم عزيمتهم وتنهض غيرتهم لاسترداد شانهم الاول الا دعوة خير من علمائهم وان جميع ذلك موكول الى ذمتهم

اما ما زعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشأوه هذه العقيدة « ولا غيرها من العقائد الاسلامية » ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه بل اشبه ما يكون بنسبة الحرارة الى الثلج والبرودة الى النار . ثم حدث للمسلمين بعد نشأتهم نشوة من الظفر وثمل من العز والغلب وفاجاهم وهم على تلك الحال صدمتان قويتان صدمة من طرف الشرق وهي غارة التتر من جنكيز خان واحفاده وصدمة من جهة الغرب وهي زحف الامم الاوربية باسرها على ديارهم وان الصدمة في حال النشوة تذهب بالرأي وتوجب الدهشة والسبات بحكم الطبيعة وبعد ذلك تداولتهم حكومات متنوعة ووسد الامر فيهم الى غير اهله وولي على امورهم من لا يحسن سياستها فكان حكامهم وامراوهم من جراثيم الفساد في اخلاقهم وطباعهم وكانوا مجلبة لشقائهم وبلائهم فتمكن الضعف من نفوسهم وقصرت انظار الكثير منهم على ملاحظة

الجزئيات التي لا تتجاوز لذته الانية واخذ كل منهم بناصية الاخر يطلب له الضرر ويلتمس له السوء من كل باب لا لعلة صحيحة ولا داع قوي وجعلوا هذا ثمرة الحياة فال الامر بهم الى الضعف والقنوط وادى الى ما صاروا اليه

ولكني اقول وحق ما اقول ان هذه الملة لن تموت ما دامت هذه العقائد الشريفة آخذة ماخذها من قلوبهم ورسومها تلوح في اذهانهم وحقائقها متداولة بين العلماء الراسخين منهم وكل مـا عرض عليهم من الامراض النفسية والاعتلال العقلي فلا بد ان تدفعه قوة العقائد الحقة ويعود الامر كما بدا وينشطوا من عقالهم ويذهبون مذاهب الحكمة والتبصر في انقاذ بلادهم وارهاب الامم الطامعة فيهم وايقافها عند حدها

وما ذلك ببعيد والحوادث التاريخية تؤيده فانظر الى العثمانيين الذين نهضوا بعد تلك الصدمات القوية (حروب التتر والحروب الصليبية) وساقوا الجيوش الى ارجاء العالم واتسعت لهم ميادين الفتوحات ودوخوا البلاد وارغموا انوف الملوك ودانت لسلطانهم الدول الافرنجية حتى كان السلطان العثماني يلقب بين الدول بالسلطان الاكبر

ثم ارجع البصر تجد هزة في نفوسهم وحركة في طباعهم احدثها فيهم ما توعدتهم به الحوادث الاخيرة من رداءة العاقبة وسوء المنقلب. حركة سرت في افكار ذوي البصيرة منهم في اغلب الانحاء شرقاً وغرباً وتالفت من خيارهم عصبات للحق كتبت على نفسها نصرة العدل والشرع

والسعي بغاية الجهد لبث افكارها وجمع الكلمة المفترقة وضم الاشتات المتبددة وجعلوا من اصغر اعمالهم نشر جريدة عربية لتصل بما يكتب فيها بين المتباعدين منهم وتنقل اليهم بعض ما يضمره الاجانب لهم وانا نرى عدد الجمعية الصالحة يزداد يوماً بعد يوم نسال الله تعالى نجاح اعمالها وتأييد مقصدها الحق ورجاونا من كرمه ان يترتب على حسن سعيها اثر مفيد للشرقيين عموماً وللمسلمين خصوصاً

رياض باشا والسياسة الانكليزية

نقل الينا وذكرت الجرائد خبر مجلس انعقد في سراي توفيق باشا بالقاهرة حضره نظار الحكومة المصرية ودعي اليه شريف باشا ورياض باشا وسلطان باشا وعمر باشا ولطفي باشا وخيري باشا وثابت باشا واغلب الجرائد الفرنساوية المهمة اتبعت رواية الخبر بالثناء على رياض باشا واتت من وصفه على افضل ما يوصف به رجل في امته ومما ذكرت من صفاته انه اقوم امير في الديار المصرية واشدهم حرصاً على الاستقامة وانه ابصر اهل بلاده بعواقب الحوادث التي المت بمصر وما تؤل اليه وكان يرى من بداية تلك الحوادث ان سيكون مصيرها الى ما لا خير فيه للبلاد وسكتت تلك الجرائد عما يتعلق ببقية اعضاء المجلس وانا نذكر الخبر اولا ثم نعقبه بما تدعو خدمة الحق لذكره

بعد انعقاد المجلس قام نوبار باشا وافتتح الكلام بخطاب وجهه الى الحاضرين فقال ماذا ترون من التدبير اذا فرضنا ان مدينة خرطوم وبربر ودنكولا دخلت في حوزة محمد احمد واشياعه واي طريقة يمكن الاخذ بها لحفظ الامنية والتقرير

والسعي بغاية الجهد لبث افكارها وجمع الكلمة المفترقة وضم الاشتات المتبددة وجعلوا من اصغر اعمالهم نشر جريدة عربية لتصل بما يكتب فيها بين المتباعدين منهم وتنقل اليهم بعض ما يضمره الاجانب لهم وانا نرى عدد الجمعية الصالحة يزداد يوماً بعد يوم نسال الله تعالى نجاح اعمالها وتأييد مقصدها الحق ورجاؤنا من كرمه ان يترتب على حسن سعيها اثر مفيد للشرقيين عموماً وللمسلمين خصوصاً

رياض باشا والسياسة الانكليزية

نقل الينا وذكرت الجرائد خبر مجلس انعقد في سراي توفيق باشا بالقاهرة حضره نظار الحكومة المصرية ودعي اليه شريف باشا ورياض باشا وسلطان باشا وعمر باشا ولطفي باشا وخيري باشا وثابت باشا واغلب الجرائد الفرنساوية المهمة اتبعت رواية الخبر بالثناء على رياض باشا واتت من وصفه على افضل ما يوصف به رجل في امته ومما ذكرت من صفاته انه اقوم امير في الديار المصرية واشدهم حرصاً على الاستقامة وانه ابصر اهل بلاده بعواقب الحوادث التي المت بمصر وما تؤل اليه وكان يرى من بداية تلك الحوادث ان سيكون مصيرها الى ما لا خير فيه للبلاد وسكتت تلك الجرائد عما يتعلق ببقية اعضاء المجلس وانا نذكر الخبر اولا ثم نعقبه بما تدعو خدمة الحق لذكره

بعد انعقاد المجلس قام نوبار باشا وافتتح الكلام بخطاب وجهه الى الحاضرين فقال ماذا ترون من التدبير اذا فرضنا ان مدينة خرطوم وبربر ودنكولا دخلت في حوزة محمد احمد واشياعه واي طريقة يمكن الاخذ بها لحفظ الامنية وتقرير

الراحة في مصر العليا (الصعيد) فاعجب الحاضرون بالسؤال وظهرت على وجوههم علائم الاستغراب لمفاجاته لهم بما لم يكونوا يتوقعونه ثم اجابوه بصوت واحد ان لا سبيل الى تأمين البلاد من خطر الفتنة إلا باستعمال القوة فقال نابور باشا انا نروم منكم التصريح بنوع القوة التي يجب استخدامها (اي قوة انكليزية او مصرية) فاجابه رياض باشا ان تعيين القوة من خصائصكم وليس من شأننا ان نتكلم فيه فابدع في الجواب بعض الحاضرين (لانعرفه وربما يكون من محبي اوطانهم) واحسن في التشبيه حيث قال الذي نعرفه ان العجة لاتكون بدون بيض. (العجة طعام يصنع من البيض مع بعض النباتات يعرف اسمه عند المصريين واغلب العرب فمادة هذا الطعام انما هي البيض فاراد هذا العضو المحترم انه لو اريد استخدام قوة فلا بد ان يكون جوهرها عساكر انكليزية ولا باس باضافة بعض من الجنود المصرية لتكون ترسا يدفع به في وجوه المحاربين وتنصب اليه قوتهم فان حصل العجز ودعت الضرورة للفرار امكن للجيوش الانكليزية ان تعود سالمة اواذا اضيف مصريون فلا بد ان يكونوا حمالين وخدمة او حرسا وحفظة لمن يكون معهم من ساداتهم هذا ما راد جناب العضو من تشبيهه البليغ) بعد هذا قال رياض باشا انكم تسألوننا تعيين القوة ولكني اسألكم ما هي القوة الموجودة عندكم وباي حق يؤدي لكم ٤٨٠٠٠ جنيه في كل شهر االتم حكومة ام لا. اما شريف باشا فقال أنه بذل جهده مدة طويلة في ارضاء الحكومة الانكليزية بان ترسل جيشا انكليزيا الى السودان (وهذا مما يقضي بالعجب) ولكنه علم ان نوبار باشا اراد ان ينهي المسألة باخلاء الاقطار السودانية فقال نوبار باشا ان المباحثة خرجت عن موضوعها وتحولت عن وجهها ولكني اذكر الاعضاء المجتمعين بانهم ما طلبوا إلا لابداء ارائهم فيما يجب العمل به فاجابه رياض باشا ان لكم مجلس شورى فكان احق ان تذاكروه وانا للآن لانعرف سببا لاستدعائنا مع وجود ذلك المجلس فحاول نوبار باشا دفع ذلك بقوله ان مجلس الشورى ليس من خصائصه النظر في مثل هذه المهمات فقال رياض باشا انه لايرجى اصلاح ما دام

العمل جارياً على ماوضعه اللورددوفرين مما سماه نظاماً وانه لا ثقة له باصل من اصول ذلك النظام وليس في الامكان اجراء ولا واحد منها وان الاغلاط التي كانت منشأ للضعف والاختلال لم يرتكبها إلا دولة الانكليز وان ما نراه من الفوضوية وارتكاب المنكرات وكثرة التعدي والسرقات لم تكن له علة إلا السياسة الانكليزية فعلى انكلترا ان تعالج هذا الداء وليس ذلك علينا ولقد قلت هذا مراراً وبلغته للورددوفرين وشريف باشا وكنت اود ان ارى اللورد دوفرين مرة اخرى لاذكره بما جرى من الحديث بيننا واعرض عليه مسره المتنظمة ٠ الا ان شريف باشا اتى بما لم يكن يرجى منه حيث دافع عن نظام دوفرين بقوله ان الاصلاح يحصل تدريجاً كانه يريد بما يقول ان ماحوته شريعة اللورد دوفرين يصلح ان يكون شريعة يعود من العمل بها على اهالي القطر المصري شي من الفائدة وما كنا نظن ان مثل شريف باشا يرى مثل هذا الرأي بعد وصول الامر الى ما وصل اليه ٠ بعد هذا قال رياض باشا اني لا افهم لفظ بروتكتورا (حماية) ولا اعلم ماذا يراد منه ولكني لا ارى وسطاً بين امرين اما ضم البلاد الى الحكومة الانكليزية فتستلم انكلترا ادارة امورها وتتولى شؤنها كلية كانت او جزئية وهذا هو الذي افهمه من تلك العبارات واما ترك البلاد لاهلها فيأخذ بزمام السلطة فيها رجال من اهاليها واليهم الحل والعقد في ادارتها فانتحلوا مذهباً من المذهبين فان القول بوسط بينهما ضرب من الجنون اه ٠

وليس بعجيب ان يصدر مثل هذا الكلام من رياض باشا فعهدنا به رجل ذو حياة وطنية واحساس بما يلزم لحفظ حياته هذه وهي اشرف انواع الحيات فان تكلم فانما ينثر الكلام منه ارادة ناشئة عن فكر تثيره قوة حيوية وكان املنا ان يوجد من طرازه كثير في الاقطار المصرية يصدعون بما يصدع به خصوصاً بعد مانازلتهم هذه الحوادث المريعة ومثلت لهم مستقبل بلادهم في مرآة حاضرها ولقد ادى الرجل حقاً واجباً عليه والقائم باداء الفريضة قد يشكر اذا اهملها المكلفون بها حتى صارت عندهم من نوافل الاعمال او في منابذ المكاره ولكن

بأخذنا العجب من بقية اعضاء هذا المجلس الموقر كيف مجمجوا او تلكاوا اوسكتوا وكيف وسعتهم القدرة عَلَى امساك السنتهم عن التعبير بما في ضمائرهم . انا لانعلم احدا منهم تجنس بالجنسية الانكليزية وحاشا جميعهم من ذلك ولا يخالج في صدورنا ان مصريًا او تركيًا او شرقيًا ايا كان يميل ميلاً صادقًا الى تسلط الامم الاجنبية عَلَى بلاده او يخلص في خدمة الانكليز ومجاراة رغائبهم اخلاصًا صحيحًا خصوصًا اولئك الامراء المصرح باسمائهم بل لو كشف الحجاب عن قلب كل واحد منهم لرأيناه ذائبا من الاسف في ماحل ببلاده وفانيا من الحزن عَلَى مانزل بوطنه من تردد جيوش الاجانب بين اطرافه ومضمحلاً من الكدر عَلَى ماعقبه حلول القوة الاجنبية من انقباض الانفس وانقطاع الآمال وعموم الاختلال وشمول الفقر والفاقة وبطلان حركة الاعمال بل لو شاء القلم ان يعبر عن حالة الامير منهم عند مايطرق اذانه اخبار التصرف الانكليزي في ادارات حكومته وكف ايدي الموظفين من ابناء ملته عن اداء مايجب عليهم لبلادهم وبسطة ايدي اولئك الاجانب في الانفاق من ماله ومال عياله واقاربه واحبابه وجميع مواطنيه بدون حق شرعي ولا مصلحة وطنية او عند مايرى غنيًا اعدم وعزيزًا ذل وكاسيا عرى وحيًا اشرف عَلَى الهلاك من ضغط المظالم ولو نهضت قوة البيان لشرح مايظهر عَلَى وجهه من الوان الكمودة وفي اعضائه من انواع الرعدة وما ينبض به قلبه وما يحدثه فكره من هواجس الهموم وخواطر الغموم لما استطاع القلم تعبيرا ولو قفت قوة البيان دون الاتيان عَلَى قليل من كثير . هذا هوالذي لايبراء منه احد منهم ولو اقام عَلَى البراة الف برهان كيف لا وهم يعلمون ان عزتهم وسيادتهم ومابلغوا من مراتب الشرف والرفعة انما كان بوصف قيامهم عَلَى اعمال البلاد واهليتهم لاستلام مهامها واستعدادهم لادارة شؤن الرعية وهم عَلَى يقين بانه لو ساد في ديارهم اجنبي فلا داعي يبعثه الى حفظ مالهم من الشرف والسيادة بل له من البواعث القوية مايحمله عَلَى تذليلهم واهباطهم الى احط المنازل ليخلفهم عَلَى مثل ماكانوا عليه او على . فما الذي امسك بالسنتهم

عن الكلام هل الخوف فمن اي شي يخافون وما الذي يخشونه عَلَى ارواحهم او عَلَى بلادهم اذا قالوا حقًا وثبتوا عليه · ماذا يصنع بهم الانكليز اذا علموا صدقهم في محبة اوطانهم واتفاق كلمتهم عَلَى الرغبة في انقاذها هل علموا من عدل الانكليز انهم يوأخذون الناس عَلَى ابداء ارائهم اذا دعوا الى المشورة · ان كان هذا فما يبتغون من الحياة · هل ظنوا ان الانكليز اذا احسوا باتفاق في الآراء عَلَى مصلحة من مصالح البلاد وان كانت في خروجهم من مصر يستطيعون تحت اعين اوربا ان يوصلوا ضررًا الى المتفقين وهم امراء البلاد واعيانها · ان رياض باشا وحده لم يخش من اظهار فكره فماذا كان يضر الامراء الوطنيين لو عززوه او كاتفوه عَلَى مثل رأيه · قد علم العقلاء من كل امة ان اشباه هذه الحوادث تكون سببًا في اجتماع الكلمة واتحاد الرأي عَلَى مصادمتها وما نراه اليوم من سعادة الامم العظيمة انما كان منشاؤه ملمات البلايا التي انستهم الضغائن والاحقاد وحملتهم عَلَى ترك المنافرات الخصوصية واخذ كل بيد اخيه لدفع ما يخشى منه على بناء الامة ان ينصدع واساس الملة ان ينقلع وما سمعنا من امة اتفقت فخابت ولا ملة افترقت فنجحت ·

الا يعلم امراؤنا ان اوربا واقفة بالمرصاد لانكلترا تترقب لها الزلل وتتمنى لها الغلط وان جميع الاسماع في الممالك الاوربية مصغية لكلمة يتفق عليها وجهاء المصريين وهي انا قادرون عَلَى اصلاح شؤوننا ولا نريد قوة اجنبية تحل في ديارنا · امتدت اعناق السياسيين في اوربا وانحنت الى المصريين ليسمعوا منهم كلمة حتى كلت رقابهم والتوت اعصابها والمصريون يشحون بها عليهم · ماذا ينتظر الامراء المصريون في قول الحق ان الامم لا تطلب منهم اشهار السلاح ولا بذل الارواح ولكن تطلب منهم قولاً صريحًا لا يجلب اليهم ضررًا ولا يقرب منهم خطرًا لا حول ولا قوة الا بالله

———>00<———

السودان

تقدمنا في العدد الماضي ان مدينة بربر في حالة يخشى عليها من السقوط في ايدي الثائرين وجاءت اخبار هذا الاسبوع بان حاكم المدينة بعد الحاح طويل على الحكومة المصرية في ارسال نجدة عسكرية اليه لم يجز طلبه قبولاً فان الوزارة الانكليزية لم تر ذلك صوابا وبناء على ما راته الحكومة الانكليزية صدرت الاوامر الى الحاكم (حسن باشا خليفة) ان يخلي المدينة بما يمكنه من السرعة فشرع في اخلائها متقهقراً بالحامية جهة الشمال الى كوروسكو وبعث بفرقة من عساكره عددها مائة وخمسون رجلا لتسبقه الى حيث ينتهي في رجعته وبعد ايام يرسل ما بقي منها طبق الاوامر التي وردت اليه وفي الظن ان اخلاء المدينة لا يتم بدون كفاح وقتال وسفك دماء ومع هذا كله فمن امل الحاكم ان يتم له انقاذ الحامية جميعها وارسالها الى كوروسكو قبل وصول رسل محمد احمد . تحقق ان اربع فرق من العساكر الغير المنتظمة (باشبزوق) مع خمسماية عسكري مصري (كلهم من حامية بربر) انحازوا الى اشياع محمد احمد ويخشى ان الثائرين بعد استيلائهم على بربر يحاصرون جملة مدن كبيرة في وقت قريب .

قالت جريدة التمس الانكليزية ثارت جميع القبائل واهالي البلاد فيما وراء بربر ولا يمكن ان يوجد رسل يجراون على المسير الى خرطوم لتوصيل المراسلات وان عرض عليهم من النقود الى ما يمكن من المبالغ وقالت تلك الجريدة ان الاخبار الاخيرة الواردة من مصر توكد لنا ان قلوب الاهالي (المصريين) طافحة من الغيظ والحنق على الانكليز وانه لا يوجد في مصر من يحب ان يرى انكليزيا يخطر في بلاده (هذا الذي قلناه مراراً فالحمد لله اقر الخصم وارتفع النزاع) ثم اتبعت كلامها هذا بانه لا يوجد في مصر الان شيء يصح ان يخبر عنه سوى اختلال او اضطراب فما عليه مصر اليوم يمكن ان يعبر عنه بهاتين اللفظتين وان المخابرات مع خرطوم اصبحت من قبيل المستحيلات ثم قالت نعم ان الحكومة الانكليزية صرحت بانه لا يمكنها ارسال عساكر الى السودان قبل مضي اربعة

اشهر ولكن عليها ان تنظر في واسطة اخرى لازالة ما جلبته عَلَى مصر من الفوضى

انجح الوسائط ترك البلاد لاهلها وتفويض الامر فيها لصاحب الحق القانوني عَلَى تلك البلاد ومن له المنزلة العليا في قلوب جميع الاهالي فتسكن له القلوب وتخمد نيران الفتن ولعل التمس بعد ايام قلائل ترجع الى موافقتنا عَلَى هذا الرأي كما وافقنا عَلَى تاكيد بغض المصريين للانكليز وقد تنكره علينا من خمسة وعشرين يوما وتبالغ في ميل الاهالي لسيادة انكلترا عليهم

ذكرت الجرائد ان جاسوسا وقف عَلَى عزيمة عثمان دجمة في جهة سواكن فجاء واخبر بانه مستعد ان يزحف بالفي رجل الى هندوب لقطع الطريق وانه بعد ذلك لا يقف دون الهجوم عَلَى حدود سواكن بشدة عنيفة

ذكر في جريدة التان ان دخول الثائرين في مدينة بربر وان لم يتحقق الان بطريقة رسمية الا ان ما اخبر به وكيل انكلترا السياسي في تلك المدينة يقطع كل ريب ويزيل كل شك في ان الخطر نازل بها لا محالة فان قسما من حاميتها فر لطلب النجاة والباقي انضموا الى صفوف الثائرين جهرة وانا نرى حلول اشياع محمد احمد بمدينة بربر يهيء لهم ان يطئوا قلب مصر العليا وليتهم يكتفون بهذا ولكن ستطمح انظارهم الى مصر السفلى . ان ضباط الحامية المصرية في اصوان وردت اليهم مكاتيب من احد زعماء الثورة بناء عَلَى امر محمد احمد ينذرهم فيها بسوء العاقبة ويتوعدهم بالقتل والذبح ان لم يتركوا المدينة قبل عشرة ايام ثم قالت تلك الجريدة اذا اجتمعت قوة محمد احمد عند الشلالة الاولى فلا بد حينئذ ان ينظر في كيفية الدفاع عن القاهرة .

هذا الذي كنا نتوقعه ونخشاه من قبل واشرنا اليه مرارًا جاءته الحوادث ونطقت به الجرائد الفرنساوية والانكليزية ولم يبق الا التفات تلك الجرائد الى دواء هذه العلة وعلاج هذا الداء الذي كاد يكون عضالا وتنبه حكوماتها للنظر في ذلك بعين الدقة والتبصر وترشدها الى ان العلاج الذي ليس وراءه علاج انما هو تسليم الامر لذوي الحق فيه والعارفين بطرق تصريفه من المسلمين وسنراها بعد ايام تتبع هذا السبيل المستقيم